حمامة السلام

كانت (سهيلة) ابنة الثلاث سنوات تلعب في الغرفة، وتُخرج كل ما في الدولاب من أغراض، وهي سعيدة، امتزج صوت ضحكاتها بتخبُّط الأشياء على الأرض سقوطًا.. انتبهت (سلمى)، وأسرعت إلى غرفتها فهالها المنظر.. كل ما كان في الخِزانة وطالته يد (سهيلة) على الأرض، تنهدت تنهيدة طويلة، وكتمت غضبها وهي تشاهد الصغيرة تفر منها إلى خارج الغرفة، في خطوات مضحكة، فقالت لها (سلمى):

ـ حسنًا (سهيلة)، سوف تُعاقبين بَعد أنْ أرتب ما أفسدته.

لم تعِرها الصغيرة اهتمامًا، وخرجت مسرعة، بدأت (سلمى) في تجميع الأغراض التي في أغلبها أشياءً لا تستخدمها.. منها أحذية جديدة، بعض المفارش، والحقائب القديمة، بدأت في ترتيبهم كلٌّ في صنفه، حتى سقطت من إحدى الحقائب محفظتها القديمة، جلست على الأرض وابتسمت، وقد أمسكتها بحرص، قديمة هذه المحفظة منذ أيام الخطوبة، كانت هدية من (عاصم) لها منذ أكثر من ثلاثة عشر عامًا، فتحتها وبحثت فيها، فوجدت ورقة من فئة المائة جنيه، كَتب عليها (عاصم) كلمة واحدة

من أربعة أحرف.. «أحبك»، وذيَّلها بتاريخ اليوم الموافق يوم الثاني عشر من مايو من العام السادس بعد الألفين ميلاديًا، يا لتذكارات الخطوبة بفحواها الجميلة، لم تغادر هذه العملة المحفظة منذ ذلك اليوم، وضعتها وأكملت بحثًا، فوجدت مجموعة من الكروت القديمة، وقع بصرها على أحدها فأخرجته، وأمسكته بكلتا يديها، وهي تتذكَّر الاسْمَ.. الأستاذ (محمد سعد) المحامي بمحكمة الأسرة، يا لهذا الرجل ما أعظمه! مرت أكثر من خمس سنوات على تعرُّفها به هي و(عاصم)، تنهدت تنهيدة حزينة وهي تتذكر تفاصيل لقائهما به، فقد جعله الله ـتعالىـ حمامة السلام التي أنقذتهما من ظلام الدمار والانفصال، تذكرت يوم التقت (درة) صديقتها تشكيها تغيُّر (عاصم) بعد شهور من الزواج، وتصاعُد حدة الخلافات بينهما، فأعطتها صديقتها عنوان شيخ يساعدها في عمل رقية لها ولزوجها والبيت، ذهبت إليه، ورغم الشك والريبة اللذَيْنِ دخلا قلبها من أول وهلة من الرجل ومكانه، فالمكان تنتشر فيه رائحة البخور القوية والدخان، والجدران تعلوها رسومات غريبة وأكف ملطخة بالدماء، وهيئته أيضًا أثارت فيها الفزع والخوف، بجلبابه الأسود، والعُقود، والخَوَاتِم التي يرتديها، وأسنانه المتساقطة، ثم بحديثه لها لمّا طرحت عليه المشكلة، فقال لها إنَّ هناك سحرًا أسود، صُنع لها ولزوجها ليتفرقا، رغم كل ذلك تناستْ الريبة والشك ولمْ تتراجع، واستجابت لطلباته من المال والملابس وحتى الأثاث، يا لغبائها.. صدقته في كل شيء، حتى يوم طلب منها إحضار بعض الأثاث لحرقه، متحججًا بأنَّ السحر يقع فيه، ولن يبطله إلّا النار، صدقته طمعًا في السكينة التي لم تَحصل عليها، بل على العكس، أصابتها نوبات هستيرية، وحالات شديدة من الإعياء، وفي كل

زيارة له كان سعير الخلافات بينها وبين (عاصم) يزداد، وإذا ما عادت تُخبره بأجيج الخِلافات، كان يبرر لها أنَّ السحر عليهما قوي، ويحتاج الكثير حتى يُقْضَى عليه، ترهات، كيف صدقتها؟! يا لغبائها، تظن بنفسها أنها ظلت لأعوام مُغيبة عن الوعي، فلمّا وصل بهما الحال من الشِّقاق إلى الطلاق والانفصال، وضاق (عاصم) بكل ما حدث ذعرًا؛ أشارت عليها زميلتها في العمل أنْ تستشير الأستاذ (محمد سعد) فعوضًا عن أنَّه محام مُخضرم في محكمة الأسرة، هو أيضًا عضو في مركز كبير للاستشاراتً الأسرية، فلما ذهبت إليه، شكَّ الرجل في روايتها، وبدأ البحث خلف ذلك المشعوذ الدجال، وهاله أنَّ (سلمى) لم تكن أوَّل ولا آخر ضحاياه، وحتى يثبِت لها بالدليل القاطع أنَّ الرجل مشعوذ كذاب.. ذهب إليه وطلب معونته في مشكلة افتعلها، فكانت كلمات المشعوذ بذات التكرار، وبنفس المطالب التي طلبها من قَبل من (سلمى)، وأُسْقِطَ في قلبها كيف عاشت ثلاثة أعوام فريسة لكذب وافتراء مشعوذ دجال! وكيف استغلها حتى أوصلها وزوجها إلى حافة الانهيار؟!

ولكن الحمد لله، فعناية الله ـتعالىـ أنقذتها من أيادي الغدر والتدليس.. وبالفعل تم القبض على ذلك المشعوذ وزَجِّه في السجن جزاءً لأفعاله السوداء، والتي دمَّرت الكثير من البيوت.

تنهدت مرة أخرى (سلمى)، وهي تتذكر الأستاذ (محمد سعد) يوم قال لها:

- سيدتي، لم يكن يومًا خروج الخلافات من المنزل حلًا لها، وإنْ كنتِ تطلبين السكينة والوئام، فاطلبيها بالقرب من الله ـتعالىـ وبلذائذ الذكر والقرآن.

ومن يومها.. أخذت كلماته خيمة تظلل بيتها بها، فملأه الراحة والسعادة، وفاض فيه الحب والأمان.